دراسة فى المعالجة الرومانية لنماذج من الأساطير الإغريقية

د . صلاح رمضان السيد

كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

من المتفق عليه بين دارسى الأدب الكلاسيكى أن الأمثلة الأسطورية التى ترد فى الأعمال الأدبية، لا تأتى فقط على سبيل التجميل فى شكل هذه الأعمال، وإنما تأتى أيضاً للتعبير عن مغزى أخلاقى، كما تأتى بغرض التعبير عن العواطف والإنفعالات الإنسانية، ومن هنا حرص الكتاب الرومان على أن يرتبط المثال الذى يُضرب من الأساطير، متبعين فى ذلك النماذج الإغريقية، بالموقف الأساسى فى الإبداع الأدبي[1] .

فنرى الشاعر كاتوللوس، على سبيل المثال، يضع سيدته ليسبيا التى يتغزل فيها، فى مقارنة بشخصيات نسائية فى الأساطير، وقد فعل نفس الشئ كل من الشاعر بروبيرتيوس، وبرع أوفيديوس فى استخدام الأمثلة الأسطورية، ومن هنا جاءت فكرة دراسة أو تقييم استخدام الرومان للأسطورة الإغريقية فى الأجناس الأدبية التى يكتبون فيها. والتراث الإغريقى ملئ بالأساطير التى تقص حياة الآلهة والبشر على حد سواء، والعلاقة القائمة بينهما، وقد حرص الرومان من جانبهم على استيعاب هذا الفكر، الذى وجدوا فيه ما يسد فراغاً لديهم فى هذا المجال، مما يعينهم على إرساء قواعد نهضتهم الفكرية، جنباً إلى جنب مع نهضتهم السياسية والاقتصادية والعسكرية. ولكن يبقى السؤال الذى يرد على خاطر المتخصصين من الدارسين، وهو: كيف تناول الرومان هذا التراث الإغريقى الثرى ؟ وهل كانوا مجرد نقلة غير مبدعين؟ أم أنهم حاولوا التجديد من جانبهم والإبداع ؟

ورد فى الأساطير أن الإله باكخوس هو إله الخمر الرومانى المناظر لذلك

الإغريقى ديونيسوس ، واللقب الرومانى Bacchus هو اللقب المناظر للقب الإغريقى لهذا الإله وهو Bakchos ويعنى "المتسبب فى الجنون" ، ومن ألقابه عند الرومان أيضاً Liberوتعنى حرفياً الحرية والخصوبة والتدفق، وقد وردت هذه الالقاب ، وغيرها فى الأعمال الأدبية الرومانية[٢] . ومن الثابت أن اللقب Liber يدل على صورة إله الخصوبة عند الرومان وأيضاً الخمر، وقد جعله الدارسون الصورة المقابلة للإله ديونيسوس عند الإغريق، وتسمى إحتفالاته بال Liberalia وتقام فى السابع عشر من شهر مارس كل عام، ولم يكن لها معبد تقام فيه، فقد كانت إحتفالات ذات طابع شعبى بالمقام الأول، وأيضاً ريفية ولم تكن سائدة فى المدن، وقد وصفها رجيليوس[٣] بأنها كانت مناسبة مبهجة بها أغانى عفوية إرتجالية، وتستخدم فيها الأقنعة التى قُصد بها طرد الأرواح الشريرة.

ولكن يُرجح أن عبادة ليبر Liber، التى سادت فى مدينة روما، إنما ترجع فى الأصل إلى بلاد الإغريق، ويذكر أوفيديوس أنها كانت فرصة للصبية أن يرتدوا عباءة الرجال toga virilis[٤] .

وعموماً أطلق الرومان على احتفالات الإله ديونيسوس، أو باكخوس ، إسم Bacchanalia والتى اتسمت بالعربدة والمجون ، وقد أصابت هذه الإحتفالات شهرة بسبب الإجراءات التى إتخذها مجلس الشيوخ الرومانى ضدها فى عام ١٨٦ قبل الميلاد، كى يوقفها[٥]، وكانت قد إنتشرت فى الجنوب الإيطالي، ومن هناك إنتقلت إلى مدينة روما من إقليم كامبانيا Campania، جالبةً معها، تحت ستار الدين، الكثير من الفوضى والعربدة، مما يتنافى مع جدية المجتمع الرومانى وصرامته.

ويتضح من بعض الآثار والرسوم التى وجدت فى مدينة بومبيي Pompeii ، أن عبادة الأسرار الديونيسية، كانت، بحلول القرن الأول الميلادى قد حققت شعبية عريضة فى الدولة الرومانية ، شأنها فى ذلك شأن عبادة أسرار إليوسيس Eleusiniaالتى كانت تقام للربة ديميتر (كيريس عند الرومان) ، والتى ترجع أيضاً

فى أصولها إلى بلاد الإغريق ، وقد أقبل الرومان على الدخول فى عبادات الأسرار لتحقيق وجود أفضل فى الحياة، من خلال ممارسة طقوس هذه العبادات التى تكفل للمتعبد أن يتحد مع القوى الإلاهية واهبة الحياة[٦] .

ويرى البعض أن ثمة عناصر شرقية كانت تسود فى طقوس عبادة الأسرار الديونيسية ، بل أنها قد أتت إلى بلاد الإغريق من الشرق، وذلك لأن هيرودوتوس قد ذكر أن ميلامبوس[٧] هو أول من أدخل اسم ديونيسوس واحتفالاته إلى بلاد الإغريق ، وأن الموطن الأصلى لها هو فينيقيا ، وهناك أيضاً مصادر قديمة أخرى تشير إلى وجود علاقة بين الإله ديونيسوس وأقاليم شمال بلاد الإغريق ، أما يوريبيديس فيرى أن هذه العبادة إنما جاءت فى الأصل من بعض المناطق الجبلية فى آسيا الصغرى، والأرجح أن عبادة الإله ديونيسوس قد نشأت خارج بلاد الإغريق ، ثم وصلت فيما بعد إلى هذه البلاد ، وانهم قد عرفوها منذ وقت مبكر ربما يرجع إلى عصور الحضارة المينوية[٨] .

ويذكر أن عبادة ديونيسوس قد سادتها منذ نشأتها الأولى ، عناصر المجون والعربدة والعنف والتمزيق والالتهام، لكن الأمر الأرجح هو أن الإغريق منذ القرن الخامس قبل الميلاد قد روضوا المتعبدين بهذه العبادة،وسيطروا على العنف والهمجية، ولم تعد هناك إحتفالات ليلية تقام بالمناطق الجبلية ، فأصبحت هذه الإحتفالات تتصف بقدر من الهدوء النسبى، وأصبحت أيضاً ذات طابع اجتماعى أكثر منه ديني[٩] .

ومن الملاحظ أن العنف والهمجية اللذان سادا تراجيدية "عابدات باكخوس" ليوريبيديس، ربما جاءا بتأثير ما رآه الشاعر من هذه المظاهر العنيفة أثناء إقامته فى مقدونيا حيث نظم مسرحيته، أو ربما أنه قد تاثر بمظاهر العنف الموجودة فى بعض العبادات الشرقية التى انتشرت فى مدينة أثينا فى أثناء القرن الخامس قبل الميلاد، على سبيل المثال عبادة الإله Sabaziusسابازيوس[١٠] التى تشابهت إلى حد كبير فى شعائرها مع عبادة الإله ديونيسوس ، وتؤكد أغلب المصادر القديمة أن الرأى

العام فى أثينا كان يعارض انتشار هذه الديانات الأجنبية الوافدة إلى البلاد من الخارج. وربما كان أحد أسباب هذه المعارضة هو ما كانت تتصف به طقوس هذه الديانات من عنف وهمجية وانغماس فى الملذات[١١] .

ولعل المصدر الأدبى الرومانى الأكثر إشارة إلى عبادة الإله باكخوس ، هو كوميديات بلاوتوس، والذى تحوى أعماله إشارات عديدة إلى عبادة هذا الإله ، وذلك كدليل على أن السلطات الرومانية كانت على دراية بأمر هذه العبادة قبل عام ١٨٦ قبل الميلاد الذى قُمعت فيه هذه العبادة[١٢] .

وتشير شذرات الدراما الرومانية المبكرة، إلى أن الإله لبيبر قد عرفه الرومان على أنه النظير المقابل للإله ديونسوس عند الإغريق، وذلك بحلول بدايات القرن الثانى قبل الميلاد، وربما فعل الرومان ذلك عن عمد حتى لا تحل عبادة الإله الإغريقى الوافد إلى روما، محل عبادة الإله الرومانى المحلى، والملاحظ أن المواضع التى ذُكر فيها باكخوس تعطى لنا صورة تنتقص من قدر العبادة الباكخية، وربما يعكس لنا هذا الانتقاض شيئاً ما حدث فى الواقع ضد هذه العبادة من جانب الشعب الرومانى، إلى أن يصدر مجلس السناتو قراره ضدها فى عام ١٨٦ قبل الميلاد.

وهناك من يرى أن الرومان قد طابقوا ديونيسوس بـ ليبر، وذلك منذ وقت مبكر، وذلك لأن كلمة Liberهى الترجمة الحرفية للقب الإغريقى لديونيسوس وهو Lusios أو Eleutherios، وكلاهما يعنى المحرر أو المخلص من قيود العقل والتزمت[١٣] .

ويرى البعض أن الشعراء الرومان، الذين سجلوا هذا الموقف الاضطهادى من جانب السلطات الرومانية لهذه العبادة، قد طابقوا بين الإلاهين، وذلك إمعانا فى وصف عبادة ليبر بالعربدة والانغماس فى الملذات، كما هو الحال فى العبادة الديونيسية الإغريقية[١٤] .

وهناك من يرى أن هذا الاضطهاد المذكور لم يكن له تأثير يُذكر، بمعنى أن عبادة الإلاهين، أو أن الإله ديونيسوس والإله ليبر، قد ظلا منفصلين حتى دخول فترة الإمبراطورية الرومانية، وأن ليبر لم يرق للتساوى مع ديونيسوس، لكن الرأى الأرجح، والذى تؤيده المصادر الأدبية، خاصة الدراما الرومانية الأولى، هو أنه بحلول عام ١٨٦ قبل الميلاد، قد بدأ التوفيق بين العبادتين، وعلى الرغم من أن الدليل على هذا يأتى من مجرد شذرات، إلا أنه واضح وجلى[١٥] .

يبدو أن مسرحية "" "Lycurgus ليكورجوس " للشاعر نايفيوس قد ظهرت بين عامى ٢٣٥ و ٢٠١ قبل الميلاد، وهى بمثابة إعداد لاتينى لواحدة من أساطير الإله ديونيسوس، وتدور حول المواجهة التى تتم بين الإله ديونيسوس وبين الملك ليكورجوس ابن درياس[١٦] ملك طراقيا. إلا أن شذرة من هذه المسرحية توضح أن خصم هذا الملك فى هذه الرواية إنما هو الإله .Liber

Cave sis tuam contendas iram contra cum ira Liberi. Fr. 48

"إحذر أن تضع غضبك أنت فى مواجهةٍ مع غضب ليبر".

وفى شذرة أخرى نجد وصفاً للنسوة من عابدات الإله:

Pergite Thyrsigerae Bacchae(modo) Bacchico cum schemate.Fr.34-35

تقدمن، أيتها الباكخيات،

وأنتن تحملن الصولجانات المقدسة، فى وضع باكخى".

وفى تراجيدية ""Athamas" أثاماس"[١٧] يشير إنيوس إلى Bacchus pater ، ويستعرض عدداً من ألقاب هذا الإله:

His erat in ore Bromius, his Bacchus pater,

illis Lyaeus Vitis inventor sacrae.

Tum pariter Euhan euhoe euhoe Euhium

ignotus iuvenum coetus alterna vice

inibat alacris Bacchico insulans modo. Fr. 128-132 .

«"بروميوس فى فم هؤلاء ، باكخوس الأب (فى فم أولئك) ،
(فى فم) آخرين المخلص ، مخترع النبيذ المقدس.
حينئذ بالتبادل ، حشد مختلط من الشباب كان يقترب،
قافزاً فى رشاقة ، بطريقة باكخية ، (يغنى) فى تبادل
منتظم ، يوهان ، يوهيو يوهيو ، يوهيو». (١٨)

وإنيوس فى تراجيديته هذه يعطى الإله باكخوس الألقاب الإغريقية المعروفة للإله مثل Bromius أى Bromios بمعنى العاصف أو الصخّاب، وفى هذه التراجيدية يلاحظ أن إنيوس يساوى بين باكخوس وليبر(١٩) .

ويذكر أن الشاعر إنيوس قد بدأ مشواره مع الكتابة قبل قرار السناتو المذكور فى عام ١٨٦ قبل الميلاد واستمر بعد ذلك التاريخ، ولكننا لا يمكننا تحديد هل كتب الأبيات السابقة ، قبل أو بعد عام ١٨٦ ق.م. ، لكن هذه الأبيات توضح أن الإله ليبر كان هو النظير الرومانى للإله ديونيسوس.

وقد عُرف ليبر بأنه إله الخمر منذ وقت مبكر وقد ورد ذلك فى إحدى تراجيديات ليفيوس أندرونيكوس :

Florem anculabant Liberi e carchesiis. Fr.30 .

كانوا يقدمون نخب ليبر فى كؤوس الشراب".

بينما يشير نايفيوس إلى شخص يشرب الخمر قائلاً:

Liberumque absorbuit. Fr. 52.

وارتشف (نخب) ليبر".

ويرى بعض الدارسين أن الإيماءات الضمنية إلى عابدات باكخوس فى أعمال بلاوتوس " "Bacchides", "Aulularia و "Amphitruo"والتى تنتقص من قدرة هذه العبادة، تفيد أن الرومان قد عرفوا أمر هذه العبادة وإحتفالاتها Bac-chanalia قبل عام ١٨٦ ق.م، خاصة أن بلاوتوس على الأرجح قد توفى فى عام

١٨٤ ق.م. إلا أن هناك من يرى أن مسرحيات بلاوتوس تعكس فى طياتها آراء العامة من الرومان، مما يدل على تحقق شعبية هذه الإحتفالات الباكخية الصاخبة[٢٠].

ولكن الأستاذ ز.ستيوارت Z. Stewart يرى أنه لا يمكن الاعتماد على الانطباع السلبى الذى أُخِذَ من مسرحيات بلاوتوس، حيث يرى أن ما أبداه بلاوتوس من إشارات إنما يأتى من النماذج المسرحية الإغريقية التى احتذاها، أكثر من كونه يأتى من الأحداث المعاصرة[٢١].

ومن المرجح أن الإشارات التى وردت فى الأعمال المسرحية الرومانية قد قدمت نموذجاً سلبياً للعبادة الديونيسية (الباكخية) على اعتبارها عبادة إنجذابية، ولعبت بذلك دوراً كبيراً فى تكوين رأى عام ينتقص من قدر هذه العبادة.

Diabathra in pedibus habebat, erat amictus epicroco. Fr. 43.

«لديه خفان على قدميه، وقد اكتسى (برداء) رقيق».

هكذا يصف نايفيوس فى تراجيديته "ليكورجوس" رداء الإله ليبر بأنه رداء رقيق، وربما ذلك فى إشارة إلى تخنث هذا الإله، وربما كانت إشارة إلى الترف الشديد الموجود فى الشرق، حيث قام الإله ديونيسوس بفتوحاته الأولي[٢٢].

يُعد غضب ديونيسوس والخوف الذى كان يبثه فى نفوس من يتحدوه من البشر من صفات ليبر فى تراجيدية "ليكورجوس" للشاعر نايفيوس، وبغضه للبشر الظالمين، ومصير هؤلاء البشر الذى لا يقدرون هذا الإله حق قدره، كل ذلك تدل عليه الأبيات التى بقيت من هذه التراجيدية. ويأتى البيت التالى على لسان الملك ليكورجوس، ابن درياس، وكان قد قام بمطاردة الإله ديونيسوس (ليبر) حين كان يمر عبر منطقة طراقيا، ولقاء ذلك حل عليه عقاب الإله وكان مصيره المحتوم هو الموت:

Ne ille mei feri ingeni atque animi acrem acrimoniam .

fr. 49.

«دعه لا يثير مزاجى الغاضب وكراهية نفسى الشديدة ».

فيرد ليبر على تطاول ليكورجوس عليه بقوله:

Liber:

oderunt di homines iniuros. Fr. 50

الآلهة يمقتون البشر الظالمين "

ثم يأتى التهديد بالعقاب المحتوم موصوفاً على لسان ليبر:

Liber

ut videam Volcani opera haec

flammis fieri Flora . fr. 52-53.

«إنه يمكننى أن أرى أعمال فولكانوس هذه ،

تغدو بفعل اللهب كالربة فلورا ».(٢٣)

ويلاحظ أن مظاهر شخصية الإله ليبر التى ذكرناها فى الأبيات السابقة هى بعينها التى وردت فى الروايات الأسطورية التى تتناول شخصية الإله ديونيسوس(٢٤).

وفى مسرحية " "Vidularia لبلاوتوس، وردت إشارة إلى قصة بينثيوس Pentheus، ملك طيبة، الذى كان يناوئ عبادة الإله ديونيسوس ويرفض دخولها إلى مملكته، وعوقب بالجنون ودُمر قصره الملكى بواسطة الإله، ثم عوقب بالموت لتلصصه على عابدات الإله، وهذا يدل على أن جانب آخر من أسطورة ديونيسوس كان معروفاً لدى الرومان(٢٥) .

ولعل أغلب خصائص هذه العبادة التى تتميز باللهو الشديد والعربدة والإغراق فى شرب الخمر وما يتبعه من إنفلات الغرائز البشرية الأخرى، قد وجدناه فى ثنايا مسرحيات بلاوتوس وأيضاً " فى شذرات تراجيدية "ليكورجوس" للشاعر نايفيوس، حيث نجد النسوة من الباكخيات يرقصن فى نشوة ويستمتعن

بممارسة الصيد على ضفاف النهر، ويصف نايفيوس ملابسهن الناعمة الرقيقة الموشاة بالذهب، ولكن يلاحظ أن النسوة فقط، من دون الرجال، هن اللاتى يشاركن فى طقوس هذه العبادة(٢٦) :

ut in venatu vitulantes ex suis

locis nos mittant poenis decoratas feris.

Fr. 37-38.

«بينما (نحن) نلهو سعيدات فى القنص،

ربما يطردوننا من مناطقهم وقد تألمنا بعقوبات قاسية».

Satellas pallis patagiis crocotis malacis mortualibus.

Fr. 39.

«فى أثواب وهدب ذهبية، وأردية ناعمة زعفرانية، وملابس الموت».

فى البيت السابق يصف الشاعر كيف قبض حراس الملك على النسوة من عابدات الإله ويصف ثيابهن، والإستثناء الوحيد الذى يدرك منه المشاهد أن الرجال يشاركون فى طقوس عبادة ديونيسوس، يوجد فى مسرحية "Cistellaria"، حين يأتى الليل، ويأخذ الأشخاص الملتهبون بالخمر فى الإنغماس فى عواطفهم الحسية Plautus, Cist. 156-159 .(٢٧)

والطبيعة العنيفة والمدمرة التى يتميز بها الإله ديونيسوس وكذا النسوة الباكخيات، نستطيع أن ندركها من الروايات المختلفة للأسطورة، وفى مسرحية "فيدولاريا" توجد إشارة إلى تمزيق بينثيوس إربا بواسطة النسوة الباكخيات، وفى شذرات مسرحية "ليكورجوس" لنايفيوس نجد خصوم الإله ليبر (ديونيسوس) وقد سُحقت حقولهم بالأقدام، ومنازلهم وقد أضرِمت بها النيران. ويشير بلاوتوس عدة إشارات إلى عنف الباكخيات وقوتهن المدمرة حين يغضبن، وعندما يغضبن يكون سلوكهن مدمراً وعنيفاً إلى أقصى حد، ففى مسرحية "أولولاريا" يشبه أحد الأشخاص، ويدعى Congrio، الضربَ المبرح الذى يتلقاه ممن يُدْعى Eucliu،

بأنه مثل الضرب الذى يتلقاه فى الحفل الباكخى:

Fustibus male contenderunt Fr. 408.

«يجهدون أنفسهم بالضرب المبرح جداً»

وفى مسرحية "أمفتريون" يقول العبد سوسيا متحدثاً عن عنف المرأة الباكخية :

Quid vis fieri ? non tu scis ?

Bacchae bacchanti Si velis adversarier,

ex insana insaniorem facies , feriet saepius

Si obsequare , una resolvas plaga. 702-704

ماذا تريد أن يحدث ؟ ألا تعرف أنت ؟

إذ تريد أن تناوئ الباكخية وهى بالنوبة الباكخية ،

سوف تجعل من المجنونة أكثر جنوناً ، سوف تضربك (هي) أكثر.

إذ (تريد) أن تذعن يمكن ان تنهار بضربة واحدة (منها) .

وفى مسرحية "الباكخيات" " "Bacchides لبلاوتوس هناك إشارتان إلى شدة الشبق الجنسى عند المرأة الباكخية(٢٨) .

كانت هذه هى الصورة التى قدمتها الأعمال الدرامية الرومانية للإله باكخوس أو ديونيسوس (ليبر عند الرومان)، فشكلت إنطباعاً عاماً، لا شك أنه غير إيجابى، لدى الإنسان الرومانى، لكن إلى أى مدى كان إيمان الرومان بهذه التفاصيل وإلى أى مدى صدقوها، هذا أمر لا يمكن الجزم به، لكن على أية حال كان الصيت أو السمعة غير الطيبة، وعندما أدرك مجلس السناتو أمر هذه الإحتفالات ذات الطبيعة الماجنة المعربدة والمليئة بالنشوة، أصبح التمييز بين الحقيقة وبين الخيال أمراً صعباً(٢٩) .

لكن المؤرخ ليفيوس أورد لنا حديثاً عن الإشاعات التى انتشرت بعد اكتشاف أمر هذه العبادة من جانب الدولة الرومانية، مما أدى إلى أن يصدر مجلس

السناتو قراره فى عام ١٨٦ ق.م. لقمع هذه العبادة واحتفالاتها، ومن المعروف أن رواية ليفيوس كمؤرخ، تأتى على أساس القرارات الرسمية التى تصدرها الدولة، خاصة من جانب مجلس السناتو(٣٠) .

والشخصيات الرئيسية التى ترد فى رواية ليفيوس عن قرار السناتو المذكور، كلها شخصيات تأتى من عائلات صغيرة ومتعددة، كانت معروفة فى بداية القرن الثانى قبل الميلاد، ولاشك أن هذه العائلات قد أتى ذكرها لأنها لعبت دوراً فى هذه الأحداث، أحداث عام ١٨٦ ق.م، وحسبما أورد ليفيوس فإن الكاهنة باكولا آنّيا Paculla Anniaقد أدخلت ثلاثة تجديدات على عبادة باكخوس، حيث أدخلت لأول مرة أعضاءً من الرجال إلى طقوس هذه العبادة، وأقيمت الشعائر بالليل فى بعض الأوقات، وكانت تقام خمس مرات فى كل شهر، وهكذا تطورت هذه الطقوس تطوراً سهل احتوائها على الرذيلة، غير أن الأستاذ أ.بروهل A.Bruhl يرى أن ليفيوس ربما أخذ روايته عن الأعمال الأدبية، مثل أعمال يوريبيديس وبنداروس وربما من أوفيديوس وغيره(٣١). ولكن الأرجح أن يكون ليفيوس قد نقل روايته عن الدراما الرومانية المعاصره له.

وخلاصة القول إن روما كانت قد خاضت لتوها عدة حروب عظيمة، وكان لا يزال القتال دائراً فى أسبانيا، وكانت المرأة فى روما قد تُركت بمفردها لتربية الأطفال، الذين من المفترض أنهم سوف يصبحون فى المستقبل هم الجنود الرومان، ومن ثم فإن أية طقوس أو عبادة بدت أنها من الممكن أن تهدد تصرفات النساء وتبدد فضيلة الشباب الرومانى virtus، كان لابد وأن تقمع، خاصة وأن الدين الرومانى كان ديناً عملياً فى مضمونه، تمارس طقوسه كما هى إرضاءً للآلهة، وتقدم فيها القرابين التى إذا لم تقدم، تعرض أصحابها للعقاب تحقيقاً للعدالة الإلاهية ius divinum، وربما عانت روما نفسها من كارثة مروعة، فالرومانى كان معنياً بالمقام الأول بأداء الشعيرة الدينية بغرض إستعطاف الآلهة وإسترضائهم كى تتحقق التقوى pietás .

وهنا يُذكر أن ius divinum بمعنى القانون الإلاهى، كان جزءاً من القانون المدنى ius civile، فالأول هو الذى يعلِّم الرومانى كيف يكون على وفاق مع الآلهة، أما الثانى فهو الذى يبين له كيف يكون على وفاق مع بنى وطنه[٣٢].

فلا شك أن الدولة الرومانية ، من جانبها ، كانت حريصة على كيانها السياسى والاجتماعى ، مثلما كان المواطن الرومانى حريصاً على إرضاء الآلهة، فربما اتخذ السناتو قراره بكبح جماح العبادة الباكخية خشية أن تحل هذه العبادة الإغريقية محل العبادة المحلية التراثية للإله ليبر Liber، وذلك حتى لا ينتهك القانون الإلاهى ius divinum، ولا يكون سلام الآلهة pax deorum، فسلام الدولة Pax Romanaوإنتصاراتها فى الحروب هو نتيجة تحقق سلام الآلهة.

وهكذا رأينا أن الرومان لم يكن لديهم أى مانع من دخول العبادات الإغريقية إلى المجتمع الرومانى والمزج بينها وبين العبادات المحلية، كما رأينا فى عبادة كل من ديونيسوس وليبر، إلا أنه عند تعارض ذلك مع السياسة العامة للدولة الرومانية فلابد من إتخاذ الإجراء اللازم لمنع ما ترى الدولة أنه من شأنه أن يضر بالمجتمع .

هكذا عرضنا لموقف من مواقف الدولة الرومانية تجاه نموذج من نماذج الفكر الإغريقى، ونعرض الآن لموقف آخر تجاه هذا الفكر ، ففى ديوانه "الأعياد" " "Fasti"تناول أوفيديوس عدداً من الأساطير الإغريقية، من أهمها قصة إينو إبنة كادموس التى لها صلة أيضاً بأسطورة الإله ديونيسوس، فإينو هى شقيقة سيميلى والدة الإله ديونيسوس من الإله زيوس، وهى التى عهد إليها الإله ، هى وزوجها أثاماس، ملك ثيساليا، بتربية الطفل ديونيسوس، بعد موت والدته سيميلى، التى لم تتحمل رؤية الإله زيوس فى كامل هيئته الإلاهية فماتت على الفور[٣٣].

وعندما يسرد أوفيديوس الأساطير فهو لا يلقى بالاً للأهمية الدينية لها، لأنه يرى أنها مادة مسلية دأب الناس على سردها للاستمتاع بها، وهذا على عكس فرجيليوس الذى كان يضفى شيئاً من القدسية على هذه الأساطير.

ويذكر أن ديوان "الأعياد" هو الديوان الوحيد الذى كُتب متماشيا مع التيار السياسى السائد فى العصر الأوغسطى الذى يعمل على تمجيد فكرة القومية الرومانية ومناصرة مشروع أوغسطس لإقامة الإمبراطورية الرومانية التى تهيمن على العالم(٣٤). فقد قيل أن أوفيديوس كان إلى حد ما من المناوئين للمشروع الأوغسطى الإمبريالى، وقد برز ذلك، وإن كان بين السطور، فى دواوينه الأخرى التى تحدث بها عن الحب فى المقام الأول مثل "«الغزليات"» و" «فن الحب"»(٣٥).

لكن أوفيديوس هنا فى ديوان "الأعياد"، حين أراد أن يضرب على وتر المشاعر الوطنية للرومان، وأن يمالئ بدرجةما الزعيم princepsأوغسطس، لم يكن ذلك أمراً سهلاً أو سطحيا، بل تطلب منه جهداً بذله فى قراءة الأساطير ودراستها فى مصادرها الإغريقية واللاتينية، لكن هذا العمل، رغم ما بذل فيه من جهد من جانب الشاعر سوف يتضح فيما بعد عند تناوله بالدراسة، فإنه لم يحقق بالطبع المجد الذى حققته دواوين الحب، وذلك لأنه لم يكن ملحمة قائمة بذاتها، هذا رغم أننا سوف نرى فى هذا الديوان، تأثير ملحمة فيرجيليوس "الإينيادة"(٣٦).

ومما يدل على أهمية أسطورة إينو فى الأدبين الإغريقى واللاتينى، تلك المرأة الإغريقية التى أقدمت على قتل نفسها، ثم تحولت عند ذلك إلى ربة للبحر، أنها وردت مرتين فى مشهدين مختلفين فى ديوان أوفيديوس "الأعياد"، ففى الكتاب الثالث (٨٧٦-٨٥١) يصف الشاعر خطة إينو لقتل طفلى زوجها، لأنه، كما تقول الأسطورة، كان قد تزوج من أخرى لما اعتقد أنها قد ماتت، لكنها كانت لا تزال تحيا بين عابدات الإله باكخوس)ديونيسوس)، وفى الكتاب السادس (٤٧٥-٥٥٠) ، يورد الشاعر وصفاً لمحاولة إنتحار إينو فى بلاد الإغريق، ثم نجدها تأتى إلى روما كى تؤله فى المستوطنة التى أسسها إيفاندر Evanderملك أركاديا (وهى إحدى مناطق البيلوبونيسوس)، فوق تل البالاتين Palatium، أحد تلال روما السبعة(٣٧).

وفى إشارتين أخريين يشير أوفيديوس فى عمله "الأعياد" إلى إينو، فى

الكتاب الثانى ٦٢٨ ، حيث يشار إليها ضمن قائمة من الأمثلة الأسطورية لشخصيات اقترفت جرائم ضد ذويها، وفى الكتاب السادس (٥٥١-٥٥٨) يلقى الشاعر الضوء على جريمة قتل كل من فريكسوس وهيللى طفلى زوجها، وذلك بعد المشهد الذى يصف فيه تأليهها، ويقع هذا المشهد فى الأبيات (٤٧٥-٥٥٠) ، حيث يستلهم أوفيديوس رواية فيرجيليوس فى الإينيادة، والتى وردت فى الكتابين السابع والثامن، حيث الحديث عن وصول إينياس إلى الأرض الجديدة، إلى إيطاليا، وهو أمر بلا شك له معزاه من جانب أوفيديوس[٣٨] ، وتشير الأستاذة ى.فانثام E. Fantham إلى أن أوفيديوس قد نقل مسألة تأليه إينو إلى إيطاليا، بدلا من بلاد اليونان، وذلك كى يضفى تناسقاً على روايته التى وردت فى الكتاب الأول والتى يصف فيها وصول Evander إلى إيطاليا ١٦٧[٣٩] .

إلا أن الأستاذ هـ.س. باركر H.S. parker يرى أن أوفيديوس قد أورد قصة تأليه إينو ناقلاً إياها إلى إيطاليا، لغرض فى نفسه، وأوفيديوس يورد هذه القصة فى سياق وصفه لليوم الحادى عشر من شهر يونيه، والذى كان الرومان يحتفلون فيه بالربة ماتر ماتوتا Mater Matuta فى احتفال يقام على شرفها ويسمى Matralia، والربة Mater Matuta، هى الربة التى اعتقد الرومان أن إينو قد تحولت إليها بعد تأليهها[٤٠] ، وهناك من يرى أن هذه الربة إنما هى ربة إيطالية محلية قديمة، كانت عبادتها قاصرة على السيدات المتزوجات Matronae، وكانت لها شعائر ترتبط بفترة حمل النساء ثم الولادة وتربية الأطفال وحسن رعايتهم داخل الحياة العائلية، ويُذكر أن النساء كن يتضرعن إليها من أجل أبناء وبنات الأخ والأخت بصفة خاصة، أكثر من تضرعهن إليها من أجل أطفالهن أنفسهن[٤١] .

ولاشك أن هذا العرف السائد فى عبادة هذه الربة والتى يقال أيضاً إنها هى إينو بعد أن تحولت إلى إلهة ، يذكرنا بجريمة إينو التى أسهمت بها فى قتل أطفال زوجها أثاماس من زوجته الثانية ثيميستو، وكانت ثيميستو قد انتحرت حين اكتشفت أنها قد قامت خطأً بقتل طفليها هى بعد أن خدعتها إينو[٤٢] .

وتبدأ رواية انتحار إينو كما وردت فى عمل أبوللودوروس Bibliotheca III.4,3بالقصة المألوفة وهى قصة زيوس وسيميلى التى أشرنا إليها سابقاً، حين عهد زيوس بالطفل ديونيسوس إلى إينو كى تربيه بعد موت أختها سيميلى، وهنا تغضب الربة هيرا، فتقوم بمطاردة إينو وزوجها أثاماس وتدفعهما إلى الجنون، فيقوم أثاماس بقتل طفلهما الأكبر ليارخوس Learchusوهو يهزى متخيلا أنه يصطاد غزالاً، وتقتل إينو طفلها الأصغر ميليكرتيس Melicertesبإلقائه فى مرجل به ماء يغلى، ثم تقفز بعد ذلك إلى ماء البحر ممسكة بجسده ، وهنا تتحول إينو إلى الربة Leucothea ليوكوثيا[٤٣] (=Mater Matuta) ويصبح ميليكرتيس بدوره إلاهاً يُدعى Palaemon، ليقوما هو وأمه بمساعدة البحارة فى أثناء الأجواء العاصفة التى تهب على سطح البحر[٤٤] .

لكن أوفيديوس، حين يروى هذه الأسطورة فى عمله "الأعياد" نلاحظ تغييراً ما، حيث يصور إينو وقد كسرها الحزن على ولدها ليارخوس الذى قتله زوجها أثاماس فى نوبة من الجنون، فتقوم بإنتزاع ولدها ميليكرتيس، ثم تقفز به من أعلى منحدر صخرى شاهق إلى البحر ٤٩٣-٤٩٨، وهنا لا يحدث تاليه فورى لهما كما ورد فى رواية أبوللودوروس، لكنهما حسب رواية أوفيديوس يتم إنقادهما بواسطة حوريات البحر المائة ويؤخذا إلى إيطاليا، حيث الشاطئ الذى يقع على نهر التيبر "Tiber"٤٩٩ - ٥٠٥ ، وهنا يبدأ التغيير المهم فى الأسطورة[٤٥] ، فتقابل إينو مجموعة من تابعات باكخوس المجذوبات (= الماينايات)، وبعد أن تحرضهن يونو(هيرا) ضد إينو يهاجمنها، ويحاولن إختطاف طفلها ٥٠٧-٥١٥ vi, ، ولكن لحسن الحظ يحدث أن يكون هيركيوليس فى هذا الوقت يرعى قطيع خيرون، عبر الأراضى الإيطالية فيسمع صرخات إينو المستغيثة، فينقذها، ثم يحملها وطفلها إلى كارمنتيس الكاهنة، والدة إيفاندر ٥١٩-٥٣٠ vi, ، فترعاهما وتطعمهما الكعك، ويرى الأستاذ دانيال بورتى D.Porteأننا هنا لا يصح أن نعتبر أوفيديوس متخيلاً أو متوهماً نظراً لهذه الإضافة الأخيرة، لكنه قد جعل الكاهنة

كارمنتيس تطعم إينو وطفلها الكعك، وذلك حتى يفسر لنا لماذا قدمت السيدات الرومانيات Matronae Romanae، الكعك للربة Mater Matuta، أثناء أعيادها المسماة Matralia[٤٦]، وتكشف الكاهنة كارمنتيس لإينو أنها سوف تصبح الربة المعروفة بإسم ليوكوثيا بين الإغريق، والمعروفة باسم Mater Matutaبين الإيطاليين. وأن طفلها سوف يصير الإله Palaemon أو Portunus فى اللاتينية vi, ٥٤٧-٥٣١، وتطلب منها أن تظل على إستعداد دائم للتوجه إلى إيطاليا. ٥٤٨ ، وتوافق إينو على ذلك ٥٤٨-٥٤٩، ويتغير اسمها واسم طفلها، ويصيرا إلاهين.

وهنا نرى أن معالجة أوفيديوس لأسطورة إينو، منذ لحظة وصولها إلى الماء، هى معالجة رومانية أصيلة تماما، فهى لا تستمر فى الحياة كبشر بعد محاولة انتحارها، إلا فى رواية أوفيديوس، حين أتى بها إلى إيطاليا من بلاد الإغريق، ولا يوجد فى التراث الإغريقى ما يشير إلى أن إحدى الروايات أحضرتها ذات مرة إلى إيطاليا[٤٧].

فى عمل هيجينوس Hyginus[٤٨] ، "Fabulae"، نجد أن إينو وولدها ميليكيرتيس يؤلها لحظة قفزهما إلى الماء، فهما بالتأكيد لا يذهبان إلى إيطاليا، ولعل ذلك كان نفس الشئ فى مسرحية يوريبيديس "إينو"، والتى فقدت، هذا على الأقل طبقاً لرواية هيجينوس، والذى يعيد صياغة القصة Fabulae iv، إلا أن أوفيديوس نفسه يتبع فى عمله "التناسخات" الرواية التقليدية المذكورة، فيؤله كل من إينو وولدها ميليكيرتيس بمجرد قفزهما إلى الماء[٤٩].

إذن فلماذا غير أوفيديوس فى هذه الأسطورة هنا فى عمله "الأعياد"، طالما أنه كان على دراية بالرواية الأصلية لها؟ هكذا يتساءل الأستاذ هـ.س. باركر[٥٠] ، ويجيب بأن أوفيديوس أراد أن يقيم الرومان ارتباطاً بين الربة الإيطالية المحلية Mater Matuta وجعلها فى الأصل إنما هى إينو ، التى تحولت إلى الربة ليوكوثيا عند الإغريق، حتى تصير الربتان متطابقتين، وبهذا تصبح هى الصورة الرومانية المقابلة للربة الإغريقية ليوكوثيا، على الرغم من أن الربة الإيطالية Mater Matuta

كانت مرتبطة بالأمومة والطفولة، بينما كانت ليوكوثيا الإغريقية هى ربة من ربات البحر.

ويذكر الأستاذ ج . بارسباى J. Barsby أننا لا نعرف على سبيل اليقين كيف ومتى بدأت عبادة المؤلهة إينو (= ليوكوثيا) فى إيطاليا، ولعل أوفيديوس نفسه، لم يكن على دراية كاملة بالأساطير التى يتناولها بصفة عامة فى عمله "الأعياد"(٥١) !

ومن هنا ربما يكون أوفيديوس قد أراد أن يبسط الأمر ويشرحه للرومان، فيزعم أن إينو بالفعل قد جاءت إلى إيطاليا وقد أُلهت فيها، وذلك لأنه فى عمله هذا إنما يحاول أن يشرح العادات الدينية الرومانية، فكان عليه أن يوجد رابطة بين مدينة روما وبين الآلهة التى يعبدها مواطنوها.

وإمعاناً فى إضفاء الصبغة الرومانية على هذه الأساطير التى هى فى الأصل إغريقية، وإمعاناً أيضاً فى إضفاء الطابع القومى والوطنى الرومانى على هذه الأفكار، لم يجد أوفيديوس وسيلة لذلك أفضل من أن يؤسس أسطورته الجديدة عن إينو على إقامة صلة بينها وبين وصول إينياس إلى سهل لاتيوم، كما وصفه فيرجيليوس فى الإينيادة .

وإينياس هو الشخصية الأهم فى التاريخ القومى الرومانى، وذلك منذ وصوله إلى سهل لاتيوم، وبالتحديد منذ تأسيس المدينة، فإينياس ورفاقه من نبلاء طروادة، كانوا هم نواة العائلات النبيلة التى سادت روما فيما بعد، وأصبحت مصدر فخرها ومجدها القديم، ومن المعروف أن الرومان قد حرصوا فى كتاباتهم على أن يدونوا أصولهم وأعراقهم القديمة كى لا تذهب طى النسيان، ولعلهم فى ذلك كانوا يربطون بين الدين، أى بين الآلهة، وبين الأبطال من البشر، لدرجة تأليه البشر، كما هو معروف فى التراث الكلاسيكى، ويعد إينياس من أبرز الشخصيات البشرية فى التاريخ الرومانى الذين تم تأليههم بعد موتهم، إلى جانب Romulus و Faunusوغيرهما(٥٢).

والقارئ للكتاب الثامن من الإينيادة، يلاحظ بعض الأشياء التى تربط بين الربة Mater Matuta وبين المستعمرة الأركادية التى أقامها إيفاندر فوق تل البالاتين، والأستاذة م.ديسبورت M. Desport تلاحظ تشابهات عدة بين شخصية إينو، كما وصفها أوفيديوس فى "الأعياد"، وبين شخصية إينياس، كما وصفها فيرجيليوس فى الإينيادة، على سبيل المثال، كل منهما كان لديه أطفال صغار مرتبطون به بشدة(٥٣) . ويضيف الأستاذ هـ.س. باركر أن إينو كانت مصحوبة بإبنها ميليكرتيس عند تأليهها، وكذلك كان إينياس مصحوباً بإبنه أسكانيوس عند مغادرته لطروادة، والتشابه الأهم بينهما هو أن كلاً منهما يعد هدفاً لغضب يونو (هيرا)، وغضب يونو هو الذى يؤدى إلى المصائب التى تحدث لإينو، كما كان الحال بالنسبة لطروادة وأهلها، وبالنسبة لإينياس وهو فى طريقه إلى تأسيس وطنه الجديد(٥٤) .

وإينياس، كما ورد فى "الإينيادة"، لم يقترف جرماً "يؤذى أو يزعج هيرا (يونو)، لكنها تحاول أن تهلكه بما أنها لا تحب الطرواديين (i.25-28)، ولأنها تعرف مسبقاً أن روما التى سوف يؤسسها، سوف تدمر يوما ما قرطاجة الأثيرة لديها (i, 19-22)، كذلك إينو لم تفعل شيئاً هى نفسها بغضب الربة جونو، لكن كونها شقيقة سيميلى التى كان لها علاقة بالإله زيوس، وكونها أذعنت، رغما عنها لما عهد به إليها زيوس من رعاية الطفل ديونيسوس وتربيته، كانت مثل إينياس، حيث عُوقبت من جانب جونو لمجرد صلتها بالشخصية المغضوب عليها، ويحدث ما حدث لها من انتحارها وجنون زوجها، وقتل ابنها، وهكذا، كما تقول الأستاذة مارى ديسبورت ، أبدع لنا أوفيديوس فى عمله "الأعياد" صنواً، لكنه صنوٌ مؤنث، لشخصية إينياس، التى وصفها فيرجيليوس فى الإينيادة"(٥٥) .

ونرى فى "الإينيادة"، البطل إينياس، بصحبة أتباعه من الطرواديين، يرنو من سفينة، ولأول مرة، فيرى بغيته من رحلته التى لاقى خلالها الأهوال، ألا وهى موقع وطنه الجديد على اليابسة:

atque hic Aeneas ingentem ex aequore lucum
prospicit. hunc inter fluuio Tiberinus amoeno
uerticibus rapidis et multa flauus harena
in mare prorumpit. uariae circumque supraque
adsuetae ripis uolucres et fluminis alueo
aethera mulcebant cantu lucoque uolabant.
flectere iter sociis terraeque aduertere proras
imperat et laetus fluuio succedit opaco .

vii, 29-36 Aen.

«وهناك يرى إينياس أيكة ضخمة (تبرز) من الماء.
من قلب هذه الأيكة ينطلق التيبر فى مجراه المبهج،
بدواماته السريعة، (التيبر) ذهبى اللون ،
بطميه الوفير، (ينطلق) إلى البحر.
ومن فوق (إينياس) ومن حوله، طيور
من أنواع شتى، وقد ألفت ضفاف النهر،
كانت تلاطف الأثير بغنائها وترفرف فوق الأيكة المقدسة،
هنا يأمر إينياس رجاله أن يحولوا طريقهم ،
وأن يوجهوا مقدمات سفنهم نحو اليابسة،
بينما يشق هو طريقه سعيداً فى المجرى الظليل» .

فى الفقرة السابقة من "الإينيادة" يصف فيرجيليوس رؤية إينياس لأول مرة لنهر التيبر، وعندها، لجلال وجمال المنظر، يأمر رجاله أن يتجهوا إلى الموقع الذى وقعت عليه عيناه، وكى يبدع أوفيديوس أسطورته الرومانية الجديدة عن إينو، فقد جعل بانوبى، وهى إحدى حوريات البحر وبقية الحوريات[٥٥] يضعنها هى و طفلها فى نفس البقعة على فم نهر التيبر:

excipit inlaesos panope centumque sorores,

et placide lapsu per sua regna ferunt

nondum Leucothea, nondum puer ille Palaemon

uerticibus densi Thybridis ora tenent.

lucus erat, dubium Semelae Stimulaene uocetur.

Fasti vi, 499-504.

« وتتلقاهما سالين ، بانوبى وأخوتها المائة،

ويحملنهما فى منزلق آمن عبر ممالكهن،

يصلا فم نهر التيبر الحافل بدواماته،

وذلك قبل (أن يصبح اسماهما) هى ليوكوثيا، والصبى بالايمون.

هناك كان بستان ، يثار الشك هل يُدعى (بستان) سيميلى، أم ستيمولا؟[٥٧]

يقولون إن المايناديات (=عابدات باكخوس المجذوبات) الأوسونيات كن قد سكنه من قبل"[٥٨]

يشير أوفيديوس إلى بقعة وصول إينو إلى إيطاليا، وهى عبارة عن بستان lucusكالذى رآه إينياس حين حل هو ورفاقه على فم نهر التيبر، متعمداً أن يضع صداً فى وصفه هذا لوصف فيرجيليوس لوصول إينياس إلى إيطاليا، كى يضفى، كما ذكرنا، الصبغة القومية الرومانية على أسطورته الجديدة، لكن الأستاذ ل.ر. ريتشاردسون L.R. Richardson، يرى أن البستان الموصوف فى الإينيادة"، يُرى من البحر بوضوح، بينما البستان الذى يصفه أوفيديوس هنا، هو بستان يقع جنوب غرب تل الأفينتين، حيث كانت تقام الإحتفالات الصاخبة للإله باكخوس (ليبر)[٥٩]، ولعل إشارة ليفيوس، ٤ ، ١٢ ، ٣٩ إلى هذا البستان بالعبارة Lucus Semelae وأحياناً Lucus Stimulae، هى ما أوحى إلى أوفيديوس بفكرة أن يحضّر إينو، شقيقة Semeleإلى موقع تأسيس مدينة روما، وذلك على سبيل توارد الخواطر من جراء التأثير اللغوي[٦٠].

وفى عـمله "التناسخـات"، هناك أيضاً "صـدى" لنفس هـذا الوصف الفيرجيلى، حين يصف أوفيديوس لحظة وصول إينياس إلى فم نهر التيبر:

lucuosque petunt, ubi nubilus umbra,

in mare cum flava, prorumpi Thybris harena. xiv, 447-448

«ويقصدون البساتين، حيث يصب نهر التيبر مياهه

المختلطة بالغرين الأصفر، إلى البحر، تحت ظل الشجر».

ومن السطور السابقة يبدو واضحاً تأثر أوفيديوس بوصف فيرجيليوس، ويرى الأستاذ س.سيجال C. Segal أن الوصف الدقيق للمناظر الطبيعية الخلابة، من شأنه بالفعل أن يبعث على الهدوء والراحة والإحساس بالأمان خاصة عندما تقع عين الإنسان على هذه المناظر لأول وهلة، لكن هذه المناظر رغم جمالها الخلاب ربما تقوى إحساس الغربة فى نفس الإنسان الغريب القادم إلى مكان لم تطأه قدمه من قبل، تقوى فيه إحساسه بالغربة وخوفه من وحشية وبدائية هذا العالم الجديد، رغم جماله، فربما كان هذا الجمال والهدوء مجرد خدعة كاذبة تتضح بعدها وحشية وقسوة المكان(٦١) ، وهو الأمر الذى يظهر أيضاً فى عمل أوفيديوس "الأعياد"، فقد وصلت إينو إلى أرض جديدة قادمة من بلاد الإغريق، وأوفيديوس بإشارته إلى المكان بالعبارة lucus ربما أراد أن يبرز ضمنياً غرابة المكان، غرابة إيطاليا غير المتحضرة بالنسبة لشخص قادم من طيبة المتحضرة، فنجد إينو تدخل بعد قليل إلى هذا البستان بصحبة ولدها ميليكرتيس، فتقابلها مجموعة معادية من الماينياديات (= عابدات باكخوس المجذوبات)، وهو الشئ المشترك بين قصتها وأحداث مماثلة فى الإينيادة، حيث نجد تمرداً للنساء فى حملة إينياس ضده، بإيعاز من الربة يونو (هيرا)، وتُواجه إينو عند أوفيديوس بنساء مستعمرة أركاديا التى أقامها إيفاندر فوق تل البالاتين، والقريبة من المكان الذى حلت به.

lucus erat "dubium Semelae Stimulaene vocetur,

maenadas Ausonias incoluisse ferunt .

quaerit ab his Ino quae gens foret.

Arcadas esse audit et Evandrum

sceptra tenere loci. Fasti vi , 503-506

«هناك كان بستان ، يُثار الشك هل يدعى (بستان)

سيميلى أم ستيمولا ؟

يقولون أن المايناديات الأوسونيات كن قد سكنه من قبل؟

تستفسر إينو منهن ، أية أمة ستأتى ،

تعلم أن الأركاديين هنا ، وأن إيفاندر يقبض على صولجان المكان».

ولعله من المفهوم أن تُستَقبل إينو بترحاب من جانب هؤلاء النسوة، عابدات الإله باكخوس، ابن أختها سيميلى، الذى ربته، لكن بإيعاز من يونو، يثرن ضد القادم الجديد، حيث توحى لهن أنها جاءت كى تتجسس عليهن وتفشى أسرارهن، فتحرضهن للإنتقام منها بمهاجمة ولدها ميليكرتيس ,vi, 507 - 512، تماماً مثلما فعلت جونو فيما ورد من أحداث فى الإينيادة، عندما كانت تحاول منع الطرواديين من دخول إيطاليا، فتقرر أن تفشل جهودهم بإثارة التمرد بين نساء حملتهم، فلا تذهب فى بادئ الأمر بنفسها، بل ترسل إيريس Irisكى تثير القلاقل، فتخفى إيريس نفسها كواحدة من نساء الحملة وتحرض النساء الطرواديات كى يشعلوا النار فى السفن، ولعل التماثل اللفظى الواضح يعد غير موجود بين أوفيديوس وفيرجيليوس، هذا رغم تشابه الأحداث، ولكن هذا التشابه فى الأحداث الفعلية وفى نغمة الحديث يجعل من الأرجح أن أوفيديوس كان يكتب عمله "الأعياد" وفى ذهنه وصف فيرجيليوس فى "الإينيادة" لشخصية إيريس وسلوكها مع الطروادیات.

لم تكد تنتهى يونو من إثارة المايناديات ضد إينو ، حتى يقدمن مسرعات لإنتزاع الطفل من حضن أمه:

vix bene desierat, complent ululatibus auras

Thyiades effusis per sua colla comis,

iniciuntque manus puerumque revellere pugnant.

Fasti vi, 513-515.

« لم تكن قد انتهت (يونو من حديثها) بالفعل ،

(حتى) أخذت الثياديات (= الباكخيات) يملأن الأجواء بصرخاتهن،

بخصلات شعورهن المرسلة على رقابهن ،

وأخذن يمددن ايديهن ويقاتلن لإنتزاع الصبى » .

لا شك فى أن السطور السابقة هى بمثابة تقليد لما ورد فى "الإينيادة"، حيث نجد أماتا Amataزوجة لاتينوس[٦٢] قد جنت بواسطة أليكتو Alecto، وهى إحدى ربات العذاب[٦٣] ، وبناءً على تعليمات يونو، تحاول Amataأن تمنع الزواج الذى على وشك الحدوث بين ابنتها Laviniaوإينياس، فتجرى عبر الغابات وهى تنادى باكخوس، وعندما يسمعنها بقية النساء يتركن منازلهن وهن يرتدين جلود الحيوانات وشعورهن مرسلة فى الهواء:

Deseruere domos, ventis dant colla comasque,

ast aliae tremulis ululatibus aethera complent.

Aen. vii, 394-395.

هجرن المنازل، وهن تاركات رقابهن وشعورهن للرياح،

بينما الأخريات يملأن الآفاق بصرخاتهن المدوية".

والمشهد التالى يصف فيه يرجيليوس كيف تتظاهر أماتا بوقوعها تحت تأثير الإله باكخوس:

quin etiam in silvas simulato numine Bacchi,

maius adorta nefas maioremque orsa furorem.

Aen. vii, 385-386.

«بل أكثر من ذلك ، توجهت نحو الغابات متظاهرة"

(بوقوعها) تحت (تأثير) سلطان باكخوس،

وقد ارتكبت (بذلك) ذنباً عظيماً وحماقةً أعظم ».

وهو الوصف الذى نجد صداه فى وصف أوفيديوس كيف تتنكر الربة يونو فى مظهر واحدة من عابدات باكخوس وهن بين الأشجار والنابات:

dissimulata deam Latias Saturnia Bacchas

instimulat fictis insidiosa sonis.

" o nimium faciles, o toto pectore captae!

non venit haec nostris hospes amica choris.

fraude petit sacrique parat cognoscere ritum."

Fasti vi, 507-5011.

«وبعد أن تظاهرت بأنها ليست ربه ، ابنه ساتورنوس الغادرة،

لتثير الباكخيات اللاتينيات بأصوات مضللة ،

يا حسنات الطوية، ذوات القلب المصاب بأكمله !

هذه المرأة الغريبة لم تأت كصديقة لحشودنا.

إنها تروم بخداعها وتدبر كى تعرف شعيرة السر المقدس".

حيث نجد فى "الإينيادة" تظاهر أماتا بأنها تحت تأثير إرادة الإله باكخوس Simulato numine Bacchi، ولدى أوفيديوس فى "الأعياد" تتظاهر جونو بأنها إمرأة فانية من البشر، حتى تتمكن من إثارة النسوة من عابدات الإله ديونيسوس ضد إينو.

وهكذا وجدنا أوفيديوس، فى إبداعه لأسطورته الجديدة عن إينو، يجعل وصولها إلى نفس البقعة التى يصل إليها إينياس نفسه، هذا إلى جانب الحشد الباكخى من النسوة، كما هو فى الإينيادة، وإستحضاراً "لروح البطولة الملحمية الفرجيلية، يقحم أوفيديوس هيركيوليس فى قصته، على الرغم من أن الأخير لا يظهر بنفسه فى الإينيادة، رغم بروز شخصيته فى الكتاب الثامن منها، حيث نجد

إينياس لدى فيرجيليوس يسمع فقط من إيفاندر عن زيارة هيركيوليس لمستعمرة أركاديا بعد عدة أعوام من الزيارة، وحين احتفال الأركاديين بذكرى مرور البطل عبر مستعمرتهم وقتاله وقتله للوحش كاكوس، أما أوفيديوس فيجعل بطلته إينو تصل إلى سهل لاتيوم وهيركيوليس موجود فيه بالفعل، وهو الذى ينقذها بنفسه، هى وولدها ، من بطش، عابدات باكخوس المجذوبات، vi, 517، بعد أن تستغيث به، فمجرد وجوده أدخل الرعب إلى قلوب النسوة الـ vi, 509-522 ويتكون لدى القارئ لعمل أوفيديوس انطباع مؤداه أن هيركيوليس وإينو يعرفان بعضهما[٦٤]:

"quid petis hinc" [cognorat enim] matertera Bacchi? "

An numen , quod me , te quoque vexat?" Ait.

Fasti vi, 523-524.

«أى شئ ترومين هنا(نعم فقد عرفها)، "يا خالة باكخوس،

أهى الإلاهة، التى تضنينى ، (تضنيك) أنت ايضاً؟ " يقول (هيركيوليس)

وهيركيوليس، مثل إينياس ومثل إينو، كلهم يعد من أهم شخصيات التراث الأسطورى التى عانت من اضطهاد الربة يونو "هيرا"، وكما أشرنا فإن هيركيوليس تربطه بروما روابط دينية قوية، فقد بدأ الأركاديون تحت حكم إيفاندر يحتفلون بتكريم هيركيوليس بعد قتله للوحش كاكوس، وقد شيد بوتيتيوس Potitius[٦٥] المذبح الأعظم ara maximaعلى شرف البطل وتكريماً له[٦٦] ، ومنذ ذلك الحين مازال الرومان يحتفلون بهيركيوليس.

ومن ناحية أخرى فقد وصف أوفيديوس المعركة التى دارت بين هيركيوليس وكاكوس i, 543-578، وفى نهاية المعركة شيد هيركيوليس بنفسه مذبحة الأعظم i, 581 ونرى الكاهنة كارمنتيس تكشف له أنه سوف يصير إلاها فى وقت قريب:

nec tacet Evandri mater prope tempus adesse

Hercule quo tellus sit satis usa suo. Fasti i, 583-584.

ولم تصمت والدة إيفاندر أن تقول أن الوقت ،
الذى فيه تكون الأرض قد استمتعت بما فيه الكفاية ،
ببطلها هيركيوليس ، يقترب حثيثاً ".

وبهذا يخلق أوفيديوس بين روما وهيركيوليس رابطة أقوى من تلك الرابطة التى يخلقها بينهما فيرجيليوس، فكما ذكرنا كان هيركيوليس بنفسه، وليس الأركاديين، كما هو الحال لدى فيرجيليوس، هو الذى شيد معبده بنفسه، بالإضافة إلى أنه خلال زيارته موقع روما لأول مرة يعلم عن تأليهه عما قريب وهو نفس الشئ الذى يحدث لإينو، فنرى فى "الأعياد"، أن إينو بعد أن ينقذها هيركيوليس، تحل ضيفة على الكاهنة كارمنتيس، التى تخبرها بأن متاعبها قد آن لها أن تنتهى وأنها وولدها ميليكرتيس على وشك أن يصيراً آلهة:

"laeta canam . gaude , defuncta laboribus Ino,"
dixit "et huic populo prospera semper ades.
numen eris pelagi , natum quoque Pontus habebit.
in vestris aliud sumite nomen aquis :
Leucothea Grais , Matuta vocabere nostris;
in portus nato ius erit omne tuo,
quem nos portunum, sua lingua palaemona dicet.
ite, precor, nostris aequus uterque locis!"
adnuerat, promissa fides. posuere labores ,
nomina mutarunt : hic deus , illa dea est. Fasti vi, 541-550.

«أنباء سعيدة ، سوف أنشدها ، إبتهجى ، فقد تخلصت
من متاعبها ، إينو " قالت (كارمنتيس مخاطبة "إينو):
«تقدمى بشير خيرٍ لهذا الشعب على الدوام .
سوف تصيرين إلاهة البحر ، وولدك أيضاً سوف يحوز المحيط"

اتخذا اسماً آخر فى مياهكما :
(أنت) سوف تُسمين ليوكوثيا لدى الإغريق، وماتوتا لدى قومنا (الرومان).
سيصير لولدك السلطان كله على الموانئ،
هو (ولدك) من ندعوه نحن (الرومان) بورتونوس،
سوف يُقال له فى لغته هو بالايمون.
إذهبا ، أتوسل (إليكما) كلاً منكما صديقاً لبلادنا !
وقد أومئت (إينو) موافقة ، وأبرم عهدها .
ها قد أنهيا متاعبهما ، وغيرا اسميهما ، هذا إله،
وتلك إلاهة".

وهكذا نجد أن كلاً من هيركيوليس وإينو يأتى إلى إيطاليا من بلاد الإغريق، ويعلم من الكاهنة كارمنتيس فى أركاديا بأمر تأليهه القادم، فنرى هيركيوليس يؤسس مذبحه أو محرابه الأقدس وهو أول محراب يُؤَسس له فى إيطاليا i, 581، لكنه من المحتمل أن يكون قد عاد إلى بلاد الإغريق كى يتم أمر تأليهه، أما إينو، وولدها، فقد أُلّها فى الحال فى إيطاليا وأصبحاً فى عداد الآلهة الإيطالية.

هناك تماثل آخر لفت نظر أوفيديوس، الشاعر الحاذق، بين شخصية إينو وشخصية إينياس، ألا وهو كرم الضيافة الذى قوبلا به لحظة وصول كل منهما إلى موقع روما. فى الإينيادة (الكتاب الثامن)، نجد أن إينياس ورفاقه عند وصولهم إلى المستعمرة الأركادية، قُدمت لهم وجبة من اللحم والخبز والنبيذ، وفى "الأعياد" نجد أن إينو قد قدمت لها الكاهنة كارمنتيس وجبة من الكعك (vi, 531-532) . وأوفيديوس فى هذا الموضع يقلد أيضاً فيرجيليوس، ليس فى المضمون فقط، ولكن أيضاً فى ألفاظه التى استخدمها، وعندما يصل الطروادیون إلى المستوطنة الأركادية، يستقبلهم فى بادئ الأمر، باللاس Pallas، ابن إيفاندر، وهنا يخبره إينياس بأنهم يرغبون فى إقامة حلف مع إيفاندر، ويدعوهم باللاس بدوره ليتحدثوا مع والده، وأن يبقوا كضيوف ينزلون على الأركاديين:

Egredere o quicqumque es", ait, coramque parentem

Adloquere ac nostris succede penatibus hospes".

Aen. viii, 122-123.

تقدم، فأى رجل تكون، وتحدث مع والدى شخصياً،

ولتحل ضيفاً علينا فى ديارنا".

وفى لغة مشابهة لما سبق عند فيرجيليوس، يصف أوفيديوس الحفاوة التى قوبلت بها إينو من جانب كارمنتيس :

hospita Carmentis fidos intrasse penates.

diceris et longam deposuisse famem. Fasti vi, 529-530.

« ضيفة كارمنتيس قد دخلت إلى ديارها الآمنة،"

سوف يُقال (هذا) عنك، وأنها قد تخلصت من جوعها)الذى دام) طويلاً".

لعل هذه الزيارة إلى المستوطنة الأركادية هى التى عززت إرتباط إينو بروما، هذا إلى جانب إرتباطها بالبطل هيركيوليس، كما ذكرنا، مما أدى إلى تقوية هذه الرابطة، وترى الأستاذة فانثام أن أوفيديوس فى عمله "الأعياد" قد حطم التراث التقليدى الفيرجيلى الذى يقضى بجعل إينياس هو جد الرومان، فقد جعل إيفاندر هو الذى يقوم بهذا الدور(٦٧) .

وبربط إينو بإيفاندر، ووالدته كارمنتيس الكاهنة، فقد جعل أوفيديوس تأليه إينو يحدث فى نفس الوقت الذى فيه تهم روما بالنهوض لتظهر، فتأليه إينو لا يتزامن فقط مع تأليه البطل هيركيوليس، ولكنه يتزامن أيضاً مع بدايات روما نفسها.

ومن قراءة نص أوفيديوس نجد أنه كان يهدف إلى إبراز التماثلات التى توجد فى الروايات الأصلية للأساطير، وبالتحديد إبراز التماثلات بين شخصيات هذه الأساطير، وقد نجح أوفيديوس فى تحقيق غايته، ألا وهى صبغ أسطورة إينو الإغريقية بالصبغة الرومانية، وذلك من خلال إتجاهه لتقليد إينيادة فيرجيليوس،

وهى العمل الرومانى الأهم والأكثر تناولاً للروح القومية الرومانية، ومن خلال سرد الأحداث كى تصب فى النهاية فى بوتقة الترحيب والترسيخ للنظام الجديد، وللعهد الذى أنهى الحروب وجلب السلام. وكما ورد فى المصادر القديمة، فقد كان هدف فيرجيليوس الأول هو أن يؤصل جذور روما وجذور أوغسطس نفسه، بأن يوحى أن إينياس إنما هو الجد الأول والمجيد لأوغسطس(٦٨) .

وقد كانت ثمرة ذلك أن جعل أوفيديوس من الربة Mater Matutaربة رومانية أصيلة فى التربة الرومانية، فحين نقل شاعرنا تأليه إينو من بلاد الإغريق إلى إيطاليا، وبالتحديد إلى موقع روما نفسها، وفى أثناء احتلالها من قبل الأركاديين، فالمكان والزمان هنا لهما مغزاهما الواضح، وبتأسيس أسطورته الجديدة على أساس وصف فيرجيليوس لشخصية إينياس، التى هى ولا شك ترمز إلى شخصية أوغسطس مؤسس الإمبراطورية، فقد حول أوفيديوس بذلك هذه الأسطورة الإغريقية إلى أسطورة رومانية أصيلة ، فى نبرة عاطفية رنانة(٦٩) .

لكننا نخلص أيضاً إلى أن أوفيديوس الشاعر، صاحب الحس المرهف، والذى كان على دراية واسعة وعميقة بالأساطير الإغريقية، وذلك منذ بداية مشواره فى قرض الشعر، قد اعتاد، كما سبق له فى أعماله الأخرى، الاقتباس الدائم من هذه الأساطير، والإصرار على أن يبعث فيها، عن طريق إعادة روايتها، قدراً كبيراً من الحيوية والإبداع، وقد كان ديوان "الغزليات"، وديوان "البطلات "دليلاً جليا على عمق هذه المحاولة.

والشاعر، كما هو معروف، كتب أشعاره فى الفترة التى حكم فيها أوغسطس، وهى تمتد من عام ٢٧ ق.م. حتى عام ١٤م.، وهو يعد بين مجموعة من الشعراء تتميز أعمالهم بالأصالة، وذلك رغم إستلهامهم، كلهم بلا إستثناء، الأساطير الإغريقية، وتأثرهم بالإنتاج الأدبى فى العصر الهيللينستي(٧٠) .

وأوفيديوس، فى عمله "مسخ الكائنات"، يعنى بموضوع واحد، هو تحول الكائنات الحية من شكل إلى آخر، أو من طبيعة إلى أخرى، ويتابع شاعرنا قصص

هذه التحولات ويرويها عن أصلها الإغريقى، لكنه بفضل فطرته الشعرية، وقدرته اللغوية وأسلوبه الأدبى المميز، ينجح فى التوليف بين عدد من الأساطير، وبالتحديد شخصيات هذه الأساطير، هذا على الرغم من تباين أصولها، لكنه دائماً يبحث فى العناصر المشتركة بين هذه الشخصيات كى يصنع منها نسيجاً متآلفاً وجديداً، ويذكر أن فكرة إعداد مجموعات من الحكايات الخرافية والأساطير كانت فكرة مألوفة لدى شعراء العصر الهيللينستي(٧١).

وأوفيديوس، فى عمله "الأعياد"، الذى كتبه فى إثنى عشر جزءاً، تحدث عن الأعياد الدينية والمناسبات التاريخية الهامة، وقد رجع فى استلهامه مادة هذا العمل إلى الوثائق الرسمية للدولة والمصادر التاريخية، ومصادر الروايات الأسطورية وكذلك علم الفلك. والأجزاء الستة التى بقيت لنا من هذا الديوان، توضح أن أوفيديوس قد حذا حذوه فى أعماله السالفة الذكر، من حيث الأصالة فى التناول، والبراعة فى الإستلهام وإعادة الصياغة. فى دواوين الحب، مثل "الغزليات" و "البطلات"، كانت النتيجة هى تقديم مجموعة من الأشعار التى تشكل بلا جدال، آثاراً أدبية رائعة فى مجال الحديث عن عاطفة الحب، سواءً من ناحية مضمونها أو من ناحية أسلوبها ولغتها، وهى أيضاً بها ما يكفى من الرمز والإيماء فى حذر إلى الحياة السياسية، وقضية الأخلاق بصفة عامة، وهنا فى عمله "الأعياد" كانت النتيجة كما قلنا، مزيد من التمجيد لأعياد روما الدينية ومحاولة إثباتها كنظير لما يقابلها لدى الإغريق، ومن خلال أسطورة إينو تحديداً تحقق قدر من الثراء للفكر الرومانى فى طور نشأته ومحاولة ترسيخه وتشييده، وتم مده بمدد جديد، لكنه فى محاولته هذه، لفت أوفيديوس نظرنا إلى طبيعة الفكر الدينى عند كل من الإغريق والرومان، وذلك حسب رأى الأستاذ ر. فيليبس R.Phillips(٧٢)، والفرق بينهما، الذى يتمثل فى أن الدين الإغريقى يعكس لنا، من خلال التحولات العشوائية metamorphoses، فكرة مؤداها أن الكون غير عاقل، أى غير عملى، أما الديانة الرومانية، فإن تطورات الفكر فيها تُعد منطقية عقلانية، أى عملية، تصب فى بوتقة

مصلحة التاريخ الرومانى، أى مصلحة الدولة الرومانية، ولعل شخصية إينو فى "الأعياد"، تعد نموذجاً جيداً لوجهة النظر الرومانية العقلانية فى الديانة، ففى الأسطورة الإغريقية، تتحول إينو، هكذا عشوائياً، بلا منطق، إلى الربة ليوكوثيا، وتصبح ربة تعبد دون تقديم تفسير عقلانى منطقى لهذا التحول، أما لدى أوفيديوس، نجد أنها قد أُنقذت وأحُضرت إلى روما عن عمد، وتحل ضيفة فى أركاديا على إيفاندر، ووالدته الكاهنة كارمنتيس، فى موقع تأسيس روما، وذلك لخلق رابطة بين هذه الربة الجديدة وبين الشعب الرومانى فتصبح ماتر ماتوتا Mater Matutaالربة الإيطالية الأصيلة، بفضل تأليهها فى المستوطنة الأركادية، قبل وصول إينياس بسنوات عديدة، وهذا الأمر يذكرنا بأن الرومان قد عرفوا الإله على أنه numenأى قوة غير بشرية فاعلة خارقة. وأنها رغم غموضها وغيبيتها، فقد لازمتهم فى كل حركة من حركات حياتهم العملية اليومية، لازمتهم فى المزرعة، وفى البيت وفى العمل وفى وقت الراحة. فالإله بالنسبة للإنسان الرومانى، صاحب التفكير المنطقى العملى، يعنى القدرة على الضرر والقدرة على النفع، وهذا هو الفرق الجوهرى بين الفكر الدينى عند الإغريق ونظيره عند الرومان، هذا رغم قيام الأخير فى الجانب الأعظم منه على أساس الأول[٧٣] ، وهذا بلا شك يعكس أصالة الفكر الرومانى فى تناول جوهر التراث الإغريقى.

الحواشى:

(١) C.W. Macleoc., "A Use of Mytth in Ancient Poetry", CQ 1974, pp. 82-93, pp. 82-83

(٢) ديونيسوس أو (باكخوس) هو الإله واهب الكرم للإنسان، ومن ثم فهو إله الخمر أيضاً، وهو رمز الحيوية والدماء التى تتدفق فتبعث الحياة فى الإنسان، وهو إله المراعى الخضراء عند الإغريق ، وله عدة ألقاب منها : Lusius (= المحرر من القيود) ، Bacchus (= المتسبب فى الجنون) ، ولقب هذا الإله بـ الصخّاب أو المعربد (= Bromius) : ووصف بالصفة Evhius (= باكخى) أو (= ملبوس بروح الإله باكخوس) ، وقد سميت أعياده عند الإغريق بـ (الديونيسيا) وعند الرومان بـ (الباكخانااليا) .

وفى المقابل نجد عند الرومان إلاهاً محلياً يدعى Liberوتدعى زوجته Libera، وهما قديمين فى الأسطورة الايطالية، وهما إله الكرم والخمر وخصوبة الحقول ، وقد عبدهما الرومان منذ وقت مبكر مقترنين بربة الزراعة كيريس Ceresراعية البذور والثمار وهى تناظر الربة ديميتر Demeterعند الإغريق ، وقد عرفت احتفالات ليبر بـ الليبيراليا : Liberaliaمن الجدير بالذكر أننى قد اعتمدت بصفة أساسية فى المعلومات التى أوردتها فى هذه الدراسة عن الآلهة والشخصيات الأسطورية على كتاب "أساطير إغريقية " (أساطير الآلهة الصغرى) الجزء الثانى للأستاذ الدكتور عبد المعطى شعراوى .

(٣) Verg.Georg . ii, 385 ff.

(٤) ovidius, Fasti iii, 771, cf.G. Wissowa, Religion und kultus der Römer, 2 nd ed. Munich, 1912 , pp. 297-299.

(٥) Livy, xxxix, 8-18.

(٦) د. أحمد عتمان ، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى ، العصر الفضى ، الطبعة الأولى ، ايجيبتوس، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ص ٨٤-٨٥.

(٧) ميلامبوس Melampusابن أميثاؤن، أشتهر ككاهن وطبيب ، وكان أول من أدخل عبادة الإله ديونيسوس إلى بلاد الإغريق.

(٨) يوريبيديس _ ٥ ، عابدات باكخوس ، ترجمة وتقديم : د. عبدالمعطى شعراوى، مراجعة د. أحمد عتمان، فى سلسلة المسرح العالمى ، أول سبتمبر ١٩٨٤، ص ص ٤٥-٤٦ .

(٩) نفس المرجع السابق، ص ٤٦ .

(١٠) سابازيوس Sabazius، هو إله عبد فى منطقتى طراكيا وفريجيا بآسيا الصغرى ، وقد عرف بأنه ابن الربة كيبيلى أو الربة ريا وقد لقب فى بعض الروايات بـ "ديونيسوس سابازيوس"، ومن هنا ارتبط به وشابت عبادته نفس مظاهر العنف التى سادت عبادة الإله ديونيسوس .

(١١) يوريبيديس - ٥ ، عابدات باكخوس ، ص ص ٤٦-٤٧.

(١٢) R. Rousselle, "Liber Dionysus in Early Roman Drama", CJ. 82, 1987, pp. 193-198, p. 193.

(١٣) G.Wissowa , op. cit., pp. 297-299 ,

قارن : يوريبيديس - ٥، عابدات باكخوس ، ص ٤٣.

(١٤) K. Latte, Romische Religionsgeschichte Munich, (1960), p. 271.

(١٥) R. Rousselle, op, cit., p. 194.

(١٦) Lycurgus ابن درياس ، ملك الإيدونيين فى منطقة طراقيا ، أشتهر باضطهاده للإله ديونيسوس ولعبادته ، ولذلك عاقبته الآلهة بالجنون وكان مصيره الموت.

(١٧) أثاماس ، ملك ثيساليا، تزوج إينو خالة الإله ديونيسوس ، التى سوف يأتى ذكرها لاحقاً فى هذه الدراسة .

(١٨) Euhan و euhoe صرختان من صرخات النسوة الباكخيات أثناء ممارسة

الشعائر تعبداً للإله ، أما Euhiumفهى صفة من صفاته وتعنى (باكخى) .

(١٩) A.D. Jocelyn, The Tragedies of Ennius, Cambridge Univ. (1967), p. 268.

(٢٠) G. Tarditi, "La questione dei Bacchanali a Roma nel 186 a.c.", in Parpass 18 (1954), pp. 273-278, pp. 273-274,

Cf. M. P. Nilson, The Dionysiac Mysteries of the Hellenistic and Roman Age, (Lund 1957), pp. 13-14

(٢١) Z. Stewart, " The God Nocturnus in Plautus' Amphiruo," JRS 50 (1960), pp.37-43, p.38.

(٢٢) يُذكر أن الإله ديونيسوس قد صُور فى فنون الجنوب الإيطالى على أنه كائن مخنث له شعر طويل مجعد وخصلات مرسلة، قارن:

A. Bruhl, Liber pater: origine et espansion du culte dionysiaque à Rome et le monde romain, Paris (1953), pp. 58-59, p. 111-114.

(٢٣) فولكانوس هو إله النار وحامل المطرقة عند الرومان (= هيفايستوس عند الإغريق) فهو يطوع الأشياء ويشكلها بالنار والمطرقة. والربة فلورا هى ربة الزهور والربيع عند الرومان ، وكانت احتفالاتها تقام سنوياً فى الفترة من الثامن والعشرين من شهر أبريل حتى الثالث من شهر مايو، وتميزت هذه الاحتفالات بالمرح واللهو الشديدين، ولعل الشاعر هنا يريد التعبير عن مدى الفوضى والدمار الذى يمكن أن يحدث من جراء إضرام الإله ليبر النار فى ابنية وقصور مملكة ليكورجوس كعقاب على تحديه له، أما نسبة هذه الأعمال opera (أى الأبنية والقصور) إلى الإله فولكانوس فهى تأتى كناية عن عظمها فى الحجم وعن مهارة من شيدوها وصنعوها، أما تشبيهها، حين تضرم فيها النيران، بالربة فلورا، إنما يأتى كناية عن عظم ضراوة النيران وتوهجها وسرعة

انتشارها وهول منظرها .

(٢٤) Apollodorus, Biblioteca III,5.; Diodorus Siculus iii,65. 4-6.

(٢٥) R. Rousselle, op. cit., p. 196.

(٢٦) cf. Plautus Amph. 703, Aulul. 408, Bacch. 53,371, Cas. 979, Mil. Glor. 1016, Vidul.1.

(٢٧) R. Rousselle, op. cit., p. 196.

(٢٨) Plaut. Bacch. V. 53-56, 371-373.

(٢٩) R. Roussell, op. cit., p. 197.

(٣٠) Liv. 39. 8.5-8; 39.13.10-14; 39.15; 39.162; 39.10.6-7, A.H. Cf. McDonald, "Rome and the Italian Confederation (200-186 BC.)", JRS 34 (1944), pp. 26-35, p. 26-27.

(٣١) A. Bruhl, op. cit., p. 95-96.

(٣٢) G. Hodge, Roman Panorama, A Background For Today, Cambridge (1944), p. 166.

(٣٣) J. Pinsent, Greak Mythology, Newnes Books London, 1986, p.48, 50.

(٣٤) د. أحمد عتمان، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى، ص٣١٥، ٣١٨، ٣٣٩- ٣٤٠، ٣٥٢، ٣٥٤.

(٣٥) صلاح رمضان السيد، "أوفيديوس الشاعر، «بين الفن والسياسة»، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٦٢ عدد: ١ ، ص ص ٣٣٩ _ ٣٦٩.

(٣٦) د. أحمد عتمان، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى ، ص ٣١٨ .

(٣٧) J. Pinsent, op. cit., p. 48, p. 50.

(٣٨) حول أصول هذه الربة، يذكر لوكريتيوس أنها ربة الفجر:

Lucretius 5.656-657, cf. G. Dumezil, Archaic Roman Relig-

ion, London 1970, p.50-55.

(٣٩) E. Fantham, "The Role of Evander in Ovid's Fasti", Arethusa 25, 1992, pp. 163-167.

(٤٠) H. C. Parker, "The Romanization of Ino " , Latomus 58, 1999, pp. 336-347, p. 336.

(٤١) M. Bettini, Anthropology and Roman Culture, Baltimore & London, 1991, pp. 77-78.

cf. H.H. Scullard, Festivals and Cermonies of Roman Republic, Ithaca, 1981, pp. 150-151.

(٤٢) يذكر أن أثاماس، ملك ثيساليا، قد اعتقد أن زوجته إينو قد ماتت، فتزوج من ثيميستو، وبعد اكتشافه أن إينو لا تزال حية بين عابدات الإله باكخوس، ذهب وأحضرها، دون اخبارها بأمر زواجه، وكذلك دون علم زوجته الثانية بأمر عودتها، وحين علمت ثيميستو بأن إينو لا تزال حية فى مكان ما، قررت أن تقتل طفلى إينو، ودون أن تدرى اختارت إينو كى تساعدها فى تنفيذ الجريمة، وقد كان طفلاً إينو يرتديان دائماً ملابس سوداء، بينما تُلبْس ثيميستو ولديها ملابس بيضاء، فقامت إينو بعمل العكس، وهنا قامت ثيميستو بقتل رضيعيها بنفسها خطأً، وحين أدركت ما فعلت، قامت بقتل نفسها.

(٤٣) ليوكوثيا هى ربة من ربات البحر ، وهى التى أنقذت البطل أوديسيوس من الغرق، وذلك حين شاهدته وهو يصارع الأمواج، فأشفقت عليه وأقتربت منه متقمصةً صورة طائر النورس وناولته بمنقارها قطعة من النسيج ، لم يكن يصدق أن فيها إنقاذه ، لكنه حين لفها حول خصره وجد نفسه طافياً فوق سطح الماء دون بذل أى مجهود.

(٤٤) cf. J. Pinsent, op. cit., pp. 48, 50, 57.

(٤٥) H.C.Parker, op. cit., p. 337-338.

(٤٦) D. Porte, l'etiologie religieuse dans les Fastes d'Ovide, paris, 1985, pp. 463-464.

(٤٧) T. Gantz, Early Greek Myth, a Guide to Literary and Artistic Sources, Baltimore & London, 1993, pp. 176-180.

(٤٨) هيجينوس هو كاتب رومانى متعدد البراعات، عاش فى عهد الإمبراطور أوغسطس ، وقد عينه الإمبراطور قيّماً على مكتبة تل البالاتيوم.

(٤٩) F. Bömer, P. Ovidius Naso, "Metamorphosen Buch iv-v", Heidelberg, 1976, pp. 139-140.

(٥٠) H. C. Parker, op. cit., p. 339.

(٥١) J. Barsby, Ovid, Oxford, 1978, (Greece and Rome New Surveys in the Classics 12), pp. 25-26.

(٥٢) E. Rawson, Intellectual Life in the Late Roman Republic, Duckworth, London, 1985, p. 218, p. 245, pp. 313-315, cf. Verg. Aen.v, 116.

(٥٣) M. Desport, "Matuta L'aurore Chez Evandre, REA 49, 1947, pp. 111-129, pp. 112-113.

(٥٤) H. C. Parker, op. cit., p. 340.

(٥٥) M. Desport, op. cit., p. 116.

(٥٦) حوريات البحر (= النيريديات) هن بنات نيريوس إله البحر ، وعددهن خمسون.

(٥٧) سيميلى ابنة كادموس مؤسس مملكة طيبة ، وهى والدة الإله ديونيسوس من الإله زيوس، وقد طلبت من زيوس حين كانت لا تزال حبلى فى جنينها ديونيسوس، أن تراه فى هيئته الإلاهية ، وحين ظهر لها ملبياً رغبتها تحت إلحاحها، لم تتحمل كبشر رؤية الإله ، فصعقت من فورها، وهنا أخذ زيوس

الجنين وخاطه فى فخده، وحين تم الوضع، عهد به إلى خالته إينو التى قامت بتربيته ، الأمر الذى أغضب منها الربة يونو (= هيرا) زوجة الإله زيوس. أما ستيمولا فهو الاسم الذى أطلقه الرومان على سيميلى ، وربما تعمد اوفيديوس ذكر هذا الاسم هنا بجوار الاسم الإغريقى وذلك ضمن محاولته إضفاء الصبغة الرومانية على الأساطير الإغريقية.

(٥٨) الماينياديات : هن عابدات باكخوس المجذوبات (=الباكخيات) ، أما صفة الأوسونيات فهى تأتى نسبة إلى الأوسونيين (= الأوسكيين) وهم أحد شعوب سهل لاتيوم ، وقد استقروا منذ العصور الأولى باقليم كامبانيا وبكثير من مناطق الجنوب الإيطالى .

(٥٩) L. J. R. Richardson, A New Topographical Dictionary of Ancient Rome, Baltimore, London, 1992, vedi lucus Stimulae.

(٦٠) H. C. Parker, op. cit., p. 342.

(٦١) C. Segal, Landscape in Ovid's Metamorphoses, a study in the Transformations of a literary Symbol, Wiesbaden, 1969, p. 18.

(٦٢) أماتا هى زوجة الملك لاتينوس ووالدة لافينيا، عارضت أمر زواج ابنتها من إينياس ، حيث كانت قد وعدت تورنوس بأن تزوجه إياها، وعندما علمت بمقتل الأخير فى ميدان القتال، شنقت نفسها.

(٦٣) ألكتو هى إحدى الأرواح النسائية الثلاث (= الإيرينيات) وهن : ألكتو، تيسيفونى ، ميجايرا، وكن ينتقمن ممن قام بقتل أحد والديه .

(٦٤) H. C. Parker, op. cit., p. 343-344.

(٦٥) بوتيتيوس هو أول من عهد إليه بالإشراف على الاحتفال الدينى السنوى الذى أسسه الأركاديون تكريماً للبطل هيركيوليس بعد قتله للوحش كاكوس.

(٦٦) verg. Aen. 8, 268-272.

(٦٧) E. Fantham, op. cit., p. 157.

(٦٨) د. أحمد عتمان، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى، ص٢٧٢.

(٦٩) نفس المرجع السابق، ص٢٧١-٢٧٢.

(٧٠) د. ثروت عكاشة، مسخ الكائنات، «ميتامورفوزس»، « "ترجمة" وتقديم »، مراجعة د. مجدى وهبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤، ص ٧-٨.

(٧١) د. ثروت عكاشة، نفس العمل، ص ١٠-١١، ص ١٤ .

(٧٢) R. Phillips C. III, "Roman Religion and Literary Studies of Ovid's Fasti, Arethusa 25, 1992, p. 72.

(٧٣) G. Hodge, op. cit., p. 166-167.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

* Apollodorus : Biblioteca, Edit. and Trans. By Sir James G. Frazer, 2vols, L.C.L. London (1927).

* Ennius, Tragedies, Edit. and Trans. By E.H. Warnington, vol. I, L.C.L, Harvard Univ. press, repr. (1988).

* Livius Andronicus, Naevius, Tragedies, Edit. and Trans. By E.H. Warmington Vol. II., I.C.L., London Univ. (1950).

Lucretius, De Rerum Natura, Edit and Trans. By Rouse W.H.D., L.C.L., London, (1924).

* Ovidius, Fasti, Edit and Trans by Sir James G. Frazer, L.C.L., London (1996).

* Ovidius, Metamorphoses, Edit and Trans by F.J. Miller 2 vols. L.C.L., London (1999).

* Plautus, Edit and Trans by Nixon, 5 vols. L.C.L., London (1952).

* Vergilius, Edit and Trans by Fairclough, 2 vols. L.C.L., London (1954).

ثانيا: مصادر مترجمة إلى اللغة العربية:

- يوريبيديس - ٥، عابدات باكخوس، ترجمة وتقديم د. عبد المعطى شعراوى، مراجعة د. أحمد عثمان، سلسلة المسرح العالمى، أول سبتمبر (١٩٨٤).

- أوفيد، مسخ الكائنات "«ميتامورفوزس»، ترجمة وتقديم د. ثروت عكاشة، مراجعة د. مجدى وهبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤).

ثالثا: المراجع الأجنبية:

* Altheim F. A History of Roman Religion, trans. By Harold Mattingly London (1938).

* Barsby J. Ovid, Oxford (1978), (Greece and Rome New Surveys in the Classics 12).

* Bettini M. Anthropology and Roman Culture, London (1991).

* Bömer F. P. Ovidius Naso, Metamorphosen Buch IV-V, Heidelberg (1976).

* Bruhl A., Liber pater: Origine et expansion du culte dionysiecque a' Rome et le monde romain, Paris (1935).

* Desport M. Matuta aurore Chez Evandre, REA 49, (1947), pp. 111-129.

* Dumezil G., Archaic Roman Religion, London (1970).

* Fantham E. "The Role of Evander in Ovid's Fasti", Arethusa 25, (1992), pp. 163-167.

* Gantz T. Early Greek Myth, a Guide to Literary and Artistic Sources, Baltimore, London (1993).

* Hodge G. Roman Panorama, A Background For Today, Cambridge (1944).

* Jocelyn A.D., The Tragedies of Ennius, Cambridge Univ. (1967).

* Latte K. Romische ReligionsgeSchichte, Munich (1960).

* Macleod C.W., "A Use of Myth in Ancient Poetry", CQ, (1974), pp.82-93.

* McDonald A.H., "Rome and The Italian Confederation (200-186 B.C.) JRS 34, 1944, pp. 25-35.

* Nilson M.P. The Dionysiac Mysteries of the Hellenistic and Roman Age, Lund. (1957).

* Parker H.C. "The Romanization of Ino", Latomus 58, (1999), pp. 336-347.

* Phillips R.C.III "Roman Religion and Literary Studies of Ovid's Fasti", Arethusa 25, (1992), pp. 72-79.

* Pinsent J. Greek Mythology, Newnes Books, London (1986).

* porte D. l'etiologie religieuse dans les fastes d'ovide, Paris (1985).

* Rawson E. Intellectual Life in the Late Roman Republic, Duckworth, London (1985).

* Richardson L.J.R., A New Topographical Dictionary of Ancient Rome, Baltimore, London (1992).

* Rousselle R. "Liber in Early Roman Drama". CJ. (1987), pp.

193-198.

* Scullard H.H., Festivals and Cermonies of Roman Republic, Ithaca (1981).

* Segal C. Landscape in Ovid's Metamorphoses, a study in the transformations of a literary symbol, Wiesbaden (1969).

* Stewart Z. "The God Nocturnus in Plautus" Amphitruo", JRS 50, 1960, pp. 37-43.

* Tarditi G. "La questione dei Bacchanali a Roma nel 186 a.c., Parpass 18, (1954), pp. 273-278.

* Wissova G., Religion Und Kultus der Romer, 2nd. Ed., Munich (1912).

رابعا: المراجع العربية:

- د. أحمد عتمان، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى، حتى نهاية العصر الذهبى، الطبعة الثانية، القاهرة (١٩٩٥).

- نفس المؤلف ، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى ، والعصر الفضى، الطبعة الأولى، ايجيبتوس ، القاهرة، (١٩٩٠)

- د. صلاح رمضان السيد، "أوفيديوس الشاعر، بين الفن والسياسة"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٦٢، عدد ١، ص ص ٣٣٩-٣٦٩.

- د. عبدالمعطى شعراوى ، أساطير إغريقية (أساطير الآلهة الصغرى)، الجزء الثانى (طبعة أولى)، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (١٩٩٥).